أبحاث ندوة عمارة المساجد، م ٨ أ، ص ص ١٦١-١٧٤، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

مصليات النساء والمخالفات الشرعية في استحداث عزلها عن المساجد

جاهد بن مقصود تارم

قسم العمارة، كلية تصاميم البيئة، جامعة الملك عبد العزيز

جدة، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث: من هذا المنطلق، ومن تعاليم سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام في عدم منع النساء المسلمات من المساجد لذكر الله، كانت ولا تزال المساجد في جميع أنحاء العالم الإسلامي يرتادها النساء للصلاة فيها وذكر الله كثيراً وفق التعاليم الإسلامية السمحة و الضوابط الشرعية التي شرعها الرسول الكريم ﷺ وسار على نهجها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن تبعهم من التابعين وتابعيهم. وعلى الرغم من ذلك فإن المتأمل في تأريخ العمارة الإسلامية عامة والمتأمل في عمارة وتشييد المساجد على مر العصور السابقة وفي مختلف الأقطار الإسلامية من المشرق إلى المغرب لا يكاد يجد أي جزء مخصص في المساجد كمصلي للنساء، على الرغم من عظمة تشييد تلك المساجد و المبالغة في تزينها وزخرفتها وإلحاق عناصر مختلفة بها. ستناقش هذه الورقة مصليات النساء وإثبات أن هذا الأمر مستحدث في العصور المتأخرة. وسيتم مناقشة الموضوع كما يلي:

الوقوف على جملة من الأحاديث النبوية الصحيحة مع شرحها لوصف التعاليم الإسلامية والآداب العامة لارتياد النساء المساجد.

استعراض تأريخي وصفي لجملة من مساجد العالم الإسلامي في عصور متفاوتة ومن أقطار مختلفة (من المشرق إلى المغرب) للتأكد من صحة الفرضية بعدم وجود مصليات خاصة بالنساء في تلك المساجد.

محاولة تحديد الفترة التي بُدأ فيها تخصيص أماكن ومصليات للنساء وأسباب ظهورها.

المخالفات الشرعية التي قد تنتج عن تحديد مصليات مخصصة للنساء، مستنداً على الأدلة الشرعية الصحيحة، و الاستشهاد بأمثلة واقعية. ستختتم الورقة ببعض التوصيات المناسبة للموضوع بناءاً على نتائج البحث.

المقدمة

قال رسول الله ﷺ "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله." [١، ج٢، ص ٣٨٣] كما ورد في صحيح مسلم عن ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا استأذنكم نساؤكم إلى المساجد فأذنوا لهن. [٢، ج٤ ص ١٦٢] من هذا المنطلق، ومن تعاليم سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام كانت ولا تزال المساجد في جميع أنحاء العالم الإسلامي يرتادها النساء للصلاة فيها وذكر الله كثيراً وفق التعاليم الإسلامية السمحة والضوابط الشرعية التي سنها الرسول الكريم ﷺ وسار على نهجها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن تبعهم من التابعين وتابعيهم لا فرق في ذلك بين الليل أو النهار فقد ورد في صحيح البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة وأحمد الدارمي قوله ﷺ "ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد" واللفظ لمسلم. [٢، ج٤، ص ١٦٢] وقد امتثل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

بسنة رسوله الكريم وإن كانت غير مطابقة لأهوائهم وعاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم. فقد ورد في صحيح البخاري في كتاب الجمعة أن امرأة عمر بن الخطاب وكانت تدعى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة كانت تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد فقيل لها لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار قالت وما يمنعه أن ينهاني قال يمنعه قول رسول الله ﷺ " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله." [١ ،م٢،ص ٣٨٣] كما ورد في صحيح مسلم في كتاب الصلاة عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها قال فقال بلال بن عبد الله والله لنمنعهن قال فأقبل عليه عبد الله فسبه سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط وقال أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول والله لنمنعهن." [٢، م٤، ص ١٦١]

كما أن رسول الله ﷺ كان يحث على حضور النساء صلاة العيدين ويأمر بها ، فقد أورد الإمام البخاري في كتاب العيدين حديثاً عن أم عطية قالت "أمرنا أن نخرج العواتق وذوات الخدور" [١ ،م٢،ص٤٦٥] والعاتق هي البكر البالغة أو المقاربة للبلوغ. كما سُئل عليه الصلاة والسلام أعلى أحدنا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج (أي إلى صلاة العيدين) فقال لها النبي ﷺ "لتلبسها صاحبتها من جلبابها ولتشهد الخير ودعوة المسلمين." [١ ،م١ ، ص ٤٢٣] وعلى الرغم من أن صلاة العيدين لم تكن تقام في المساجد إلا أن الشاهد في ذكر أحاديث صلاة العيدين هو اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد لأداء الصلاة وحث الرسول الكريم لحضور النساء هذا الخير وشهود دعوة المؤمنين وان كن معذورات بحيض أو نفاس . وقد ورد في شرح الحديث عند ابن حجر العسقلاني قوله "وكأنهم كانوا يمنعون العواتق من الخروج لما حدث بعد العصر الأول من الفساد ، ولم تلاحظ الصحابة ذلك بل رأت استمرار الحكم على ما كان عليه زمن النبي ﷺ ." [١، م١، ص ٤٢٣]

الآداب العامة لارتياد النساء المساجد

الإذن بالخروج إلى المسجد

فقد ورد في كتاب الصلاة لمسلم أن الزهري سمع سالماً يحدث عن أبيه (عبد الله بن عمر) رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال "إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها." [٢،م٤، ص ١٦١] كما ورد هذا الحدث في صحيح البخاري مخصصاً بالليل عن سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال "إذا استأذنكم نساؤكم بالليل فأذنوا لهن." [١، م٢، ص ٣٤٧] وقد أشار الإمام الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري وقال في الأحاديث الواردة في الاستئذان أن بعضها مطلق في الزمان وبعضها مقيد بالليل أو العكس، فحمل المطلق في الترجمة على المقيد وكأن اختصاص الليل بذلك لكونه أستر، ولا يخفى أن محل ذلك إذا أمنت المفسدة منهن وعليهن، قال النووي: استدل به على أن المرأة لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه لتوجه الأمر إلى الأزواج بالإذن وفيه إشارة إلى أن الأذن المذكور لغير الوجوب ، لأنه لو كان واجباً لانتفى الاستئذان، لأن

ذلك إنما يتحقق إذا كان المستأذن مخيرا في الإجابة أو الرد. وقد افرد الإمام البخاري رحمه الله بابا سماه باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد.

التستر

ورد في صحيح البخاري في كتاب الصلاة أن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت "لقد كان رسول الله صلى الله عيه وسلم يصلى الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات في مروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد" [١، م١، ص ٤٨٢] ومعنى متلفعات أي متسترات بثوب يغطي جسدهن كله والمرط هو كساء من صوف. وقد ورد هذا الحديث في مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والدارمي.

عدم مس الطيب

كانت زينب الثقفية رضى الله عنها تحدث عن رسول الله ﷺ انه قال "إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تطيب تلك الليلة." [٢، م٤، ص١٦٣] كما ورد في حديث مرفوع متصل السند عن زينب بنت معاوية الثقفية أن النبي صلى الله عليه ولسم قال أيتكن خرجت إلى المسجد فلا تقربن طيبا." [٣، م٨، ١٥٥]

أن تصلي في آخر الصفوف

أورد ابن ماجة في سننه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ "خير صفوف الرجال مقدمها وشرها مؤخرها وخير صفوف النساء مؤخرها وشرها مقدمها." [٤، م١، ص ٣١٩] كما أورد الحديث بمعناه أحمد في مسنده.

تأخر رفع المرأة رأسها قبل الرجال

ورد في كتاب باقي مسند الأنصار للإمام أحمد حديثا عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت "قال رسول الله ﷺ يا معشر النساء من كان منكن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا ترفع رأسها حتى يرفع الإمام رأسه من ضيق ثياب الرجال" [٥] كما ورد في نفس الباب عن أبي حازم (سلمة بن دينار) قال سمعت سهل بن سعد يقول كان رجال يصلون مع النبي ﷺ عاقدي أزرهم على رقابهم كهيئة الصبيان فيقال للنساء لا ترفعن رؤوسكن حتى يستوي الرجال جلوسا.[٥]

التصفيق عندما يخطئ الإمام

عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال النبي ﷺ "التسبيح للرجال والتصفيق للنساء" [١] رواه البخاري في صحيحه. كما أورد البخاري في حديث طويل قول الرسول الكريم "مالي رأيتكم أكثرتم التصفيق من رابه شيء في صلاته فليسبح فإنه إذا سبح التفت إليه وإنما التصفيق للنساء." [١، م٢، ص ١٦٧]

سرعة انصراف النساء بعد صلاة الصبح

افرد الإمام البخاري رحمه الله باباً أسماه باب سرعة انصراف النساء من الصبح وقلة مقامهن في المسجد وذكر فيه حديث عائشة رضى الله عنها " أن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح بغلس فينصرفن نساء المؤمنين لا يعرفن من الغلس، أو لا يعرف بعضهن بضعاً " [١، م٢، ص ٣٥١] وقد شرح هذا الأمر ابن حجر العسقلاني في شرحه فقال "وقد قيد الأمر بالصبح لان طول التأخير فيه يقضي إلى الأسفار فناسب الإسراع ، بخلاف العشاء فإنه يفضي إلى زيادة الظلمة فلا يضر المكث" انتهى كلام ابن حجر.

الأمور المباحة للمرأة ممارستها في المساجد

الاعتكاف

ورد في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت "اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه فكانت ترى الدم والصفرة والطست تحتها وهي تصلي" [١، م١، ص ٤١١] كما روى هذا الحديث في سنن ابن داود وابن ماجة ومسند الإمام احمد وسنن الدارمي.

زيارة المعتكف

يجوز للمرأة زيارة المعتكف كما فعلت أم المؤمنين صفيه بنت حيي بن أخطب حيث زارت النبي ﷺ في معتكفه في رمضان. فقد روى الإمام البخاري رحمه الله حديثاً عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفيه زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي ﷺ معه يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ فقال لهما النبي ﷺ على رسلكما إنما هي صفيه بنت حيي فقالا سبحان الله يا رسول الله وكبر عليها فقال النبي ﷺ أن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم أني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً." [١، م٤، ص ٢٧٨]

الجلوس في المسجد

ورد في سنن الترمذي في باب ما جاء في التسليم على النساء ، حدثنا سويد اخبرنا عبد الله بن المبارك اخبرنا عبد الحميد بن بهرام أنه سمع شهر بن حوشب يقول سمعت أسماء بنت يزيد تحدث أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يوماً وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم." [٦، م١٠، ص ١٧١]

الاستماع إلى القرآن في المسجد

روى الإمام احمد في سننه في كتاب باقي مسند الأنصار حديثاً عن عائشة أنها أبطأت على النبي ﷺ فقال ما حبسك يا عائشة قالت يا رسول الله أن في المسجد رجلاً ما رأيت أحداً أحسن قراءة منه قال فذهب رسول الله ﷺ فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك.[٥]

خدمة المسجد وتنظيفه

"عن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها بعد أيام فقيل له أنها ماتت فقال فهلا آذنتموني فأتي قبرها فصلى عليها" رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد وابن ماجة واللفظ لابن ماجة.[٤، م١، ص ٤٨٩]

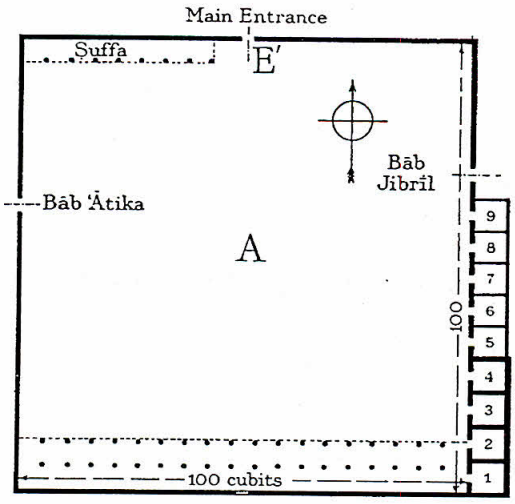
استعراض تأريخي وصفي لجملة من مساجد العالم الإسلامي في عصور متفاوتة ومن أقطار مختلفة

يتعذر في هذا البحث وصف مساجد العالم الإسلامي على مر العصور المختلفة في الأقطار الإسلامية المختلفة لكثرتها وتعددها، كما انه يضيق بهذا البحث حتى وصف مسجد واحد لكل قطر من الأقطار في الحقب الزمنية المختلفة. إلا أن المراجع التي تم الرجوع إليها في البحث تضمنت وصفا تفصيليا لما يربو عن مائة مسجدا مختلفا في مختلف العصور والأقاليم في العالم الإسلامي، وقد قام المؤلف بعمل استقراء تاريخي بمراجعتها جميعا والتأكد من صحة الفرضية بعدم وجود مصليات خاصة بالنساء في تلك المساجد.

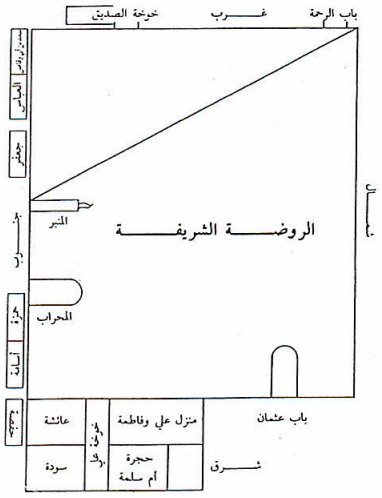
فيما يلي استعراض أمثلة سريعة لبعض أشهر مساجد العالم الإسلامي في حقب زمنية مختلفة وفي أقطار مختلفة من العالم الإسلامي بما يخدم أهداف البحث.

مسجد الرسول الكريم ﷺ بالمدينة المنورة

كثير هم أولئك الذين وصفوا مسجد الرسول الكريم ﷺ بالمدينة وتحدثوا عنه ، وكثير منهم استند على وصف كرزول لمسجد الرسول الكريم ، حيث تخيله كرزول بشكل مبسط بقاعة للصلاة مسقوفة في الجانب القبلي (الجنوبي) وفي الشمال رواق مسقوف أو مظلة لأهل الصفة ، بينما تمتد على حدوده الشرقية مجموعة من الغرف تؤلف عددها تسعة غرف تمثل غرف أزواجه التسعة ﷺ (شكل رقم ١)[٧] إلا أن فرضية كرزول فيها نظر، حيث أورد غالي الشنقيطي وصفاً لحجرات الرسول من المسجد (شكل رقم ٢) اقرب إلى الواقع حيث أن تحديد موقع الحجرات الشريفة بنى على جمله من الأحاديث والروايات التي تؤيد ما توصل إليه الشنقيطي في كتابه الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ .[٨] من وصف كرزويل والشنقيطي لا يظهر لنا أي دليل على وجود مصلى خاص بالنساء على الرغم من أن الأحاديث السابقة تؤكد صلاة النساء في مسجده ﷺ . كما ثبت انه كانت تنصب الخيام في المسجد للمرضى وغيرهم، فقد بوب الإمام البخاري باباً أسماه "الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم" وأورد فيه حديثاً لعائشة رضي الله عنها أنها قالت "أصيب سعد يوم الخندق في الأكحل، فضرب النبي ﷺ خيمةً في المسجد ليعوده من قريب، فلم يرعهم- في المسجد خيمة من بني غفار- إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دما ، فمات فيها." [١، م١ ، ص ٥٥٦] فلو كان أمر اتخاذ أماكن مخصصة للنساء مشروعاً، لأمر الرسول الكريم بضرب خيمة في المسجد للنساء للصلاة فيها، ولكنه لم يأمر بذلك.



شكل ١: مسجد الرسول(ﷺ) في المدينة. ١٩٧٩ Creswell.

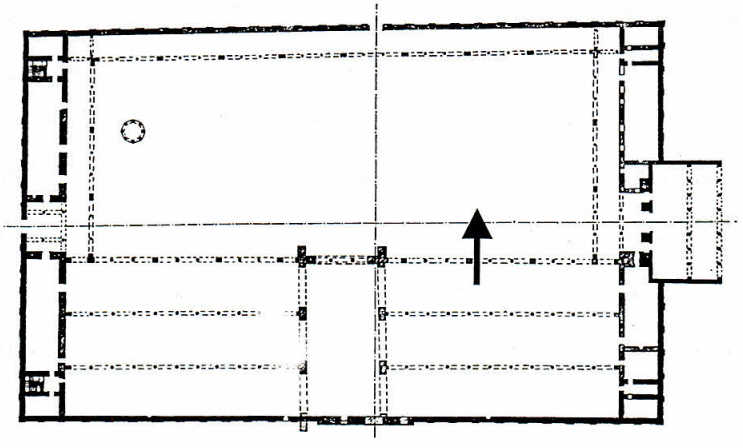


شكل ٢: مسجد الرسول(ﷺ) في المدينة. الشنقيطي ١٩٩١.

جامع دمشق

جامع دمشق بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في عام ٨٧ وقيل سنة ٨٨ [٩،ص٤٦٥] فقد كان الجامع ثورة على التقشف. ورد وصف للجامع في كتاب معجم البلدان للحموي من بعض أهالي دمشق فقال "هو جامع المحاسن كامل الغرائب معدود إحدى العجائب، قد زود بعض فرشه بالرخام وألف على احسن تركيب ونظام" ويقال أن الوليد بن عبد الملك انفق على عمارته خراج المملكة سبع سنين وحملت إليه الحسبانات بما انفق عليه على ثمانية عشر بعيرا فأمر بإحراقها و لم ينظر فيها وقال: هو شيء أخرجناه لله فلم نتبعه.[٩ ، ص ٤٦٦]

لا يتسع بنا المقام لوصف الجامع الأموي بالشكل المطلوب، إلا أن الجامع مستطيل الشكل طوله ١٥٦ مترا وعرضه ٩٧مترا. تحتل قاعة الصلاة الجانب الجنوبي بطول ١٣٢ مترا وعرض ٥٠ مترا. ويليه في الشمال صحن مستطيل تحيط به الأروقة من ثلاث جهات (شكل ٣).[٧]

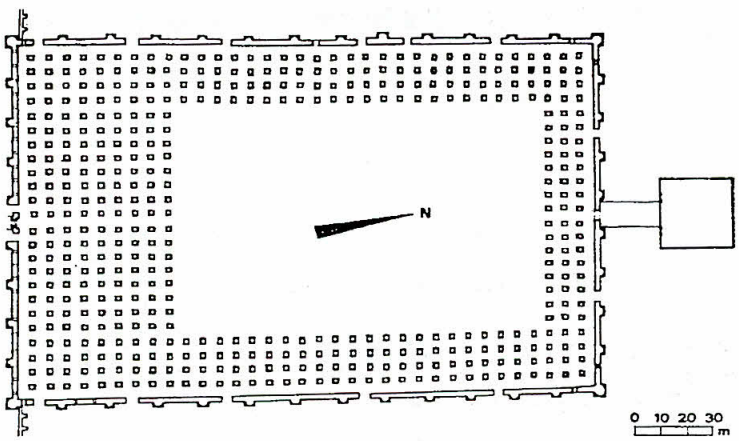


شكل ٣: الجامع الا ي بدمشق Creswell(١٩٧٩).

بتأمل المسقط الأفقي المبين في (شكل ٣) وبالاطلاع على وصف المسجد في كتب المؤرخين وكتب العمارة الإسلامية التي تناولت جامع دمشق بالشرح والتفصيل [٧، ٨، ٩، ١٠، ١١] لم يوردوا في وصفهم أي مكان مخصص لصلاة النساء في الجامع الذي بني في زمن الوليد بن عبد الملك بن مروان عام ٨٧هـ أي قبل انقضاء القرن الأول الإسلامي (عصر افضل القرون) وفي وقت وجود بعض الصحابة وكبار التابعين من أصحاب رسول الله ﷺ . فقد كان النساء يؤدون صلاتهم كما كانوا يؤدونها في مسجد رسول الله دون تخصيص أماكن محدده ومعينه لهن.

جامع سامراء الكبير

تم تشييد جامع سامراء الكبير زمن المعتصم بالله الخليفة الثامن للدولة العباسية الأولى عام ٢٢١هـ في مدينة سامراء بالعراق. المسجد مستطيل الشكل تبلغ أطوال أضلاعه ٢٤٠متراً × ٥٦ متراً وبهذا المقاس يعتبر جامع سامراء الكبير من أوسع مساجد العالم (شكل ٤). يتميز المسجد بمئذنته الشهيرة والتي تعرف بالملوية بسبب شكلها المخروطي الحلزوني.[٧، ١٠] على الرغم من ضخامة المسجد واتساعه إلا أن تصميمه بسيط حيث يتكون المسجد من قاعة الصلاة وتقع في الضلع الجنوبي للمسجد يليها صحن واسع تحيط به أروقة من صفوف العضائد العمودية على السور، كما يوجد رواق شمالي يتكون من ثلاثة بلاطات. لم يلجأ الخليفة العباسي محمد بن هارون الرشيد (المعتصم) إلى تخصيص مكاناً للنساء في هذا الجامع الضخم، بل كانت النساء تمارس شعائرها كما كانت تمارس في عهد الرسول الكريم ﷺ .

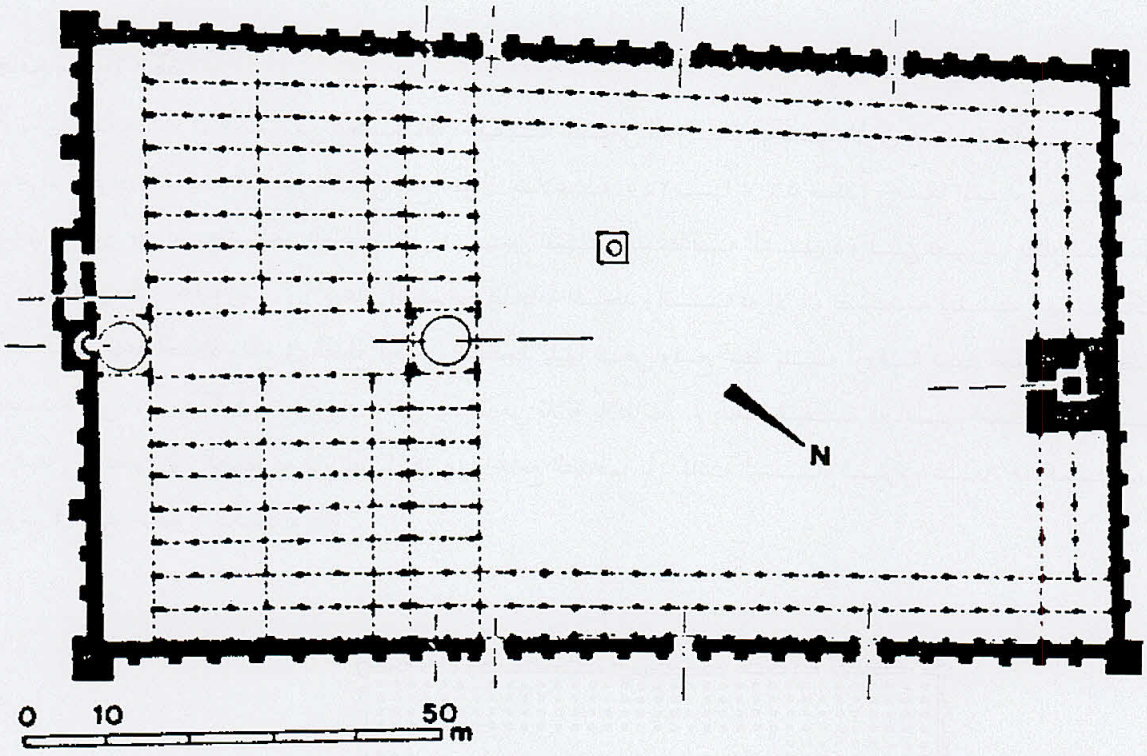


شكل ٤: جامع سامراء الكبير. Hoag (١٩٧٥).

جامع القيروان

والسبب في اختيار جامع القيروان دون غيره من المساجد في بلاد المغرب هو تأكيد انتقال التراث والفكر من قطر لآخر بسبب امتداد الدولة الواحدة والتأثر الثقافي الذي يطرأ نتيجة للمعطيات السياسية ، فقد انشأ جامع القيروان الحالي (حيث هدم و أعيد بناءه) إلى عهد الأغالبة عام ٢٤٧هـ [١١] الذين بقوا طوال فترة ولايتهم تابعين

للخلافة العباسية ، فنجد أن جامع القيروان يشبه إلى حد كبير مساجد سامراء في جملته ، إشارة إلى الوحدة في العمارة الإسلامية وخاصة في أثناء الحكم السياسي الواحد مع وجود الاختلاف الذي يميز كل قطر عن الآخر ، فنجد أن جامع القيروان يتميز ببلاطه موازية لجدار القبلة يتعامد عليها صفوف من القناطر لا تستمر إلى جدار القبلة حيث اصبح العنصر (البلاطة الموازية لجدار القبلة) من مميزات مساجد المغرب العربي[٧] (شكل ٥).



شكل ٥: جامع القيروان. (١٩٧٥) م

كما يميز جامع القيروان محرابه الذي يعتبر تحفه نادرة ورائعة من روائع الفن الإسلامي ويحتوي المحراب على مجموعه من الألواح الخزفية ذات البريق المعدني عددها مائة وتسع وثلاثون [١٢ ،ص ١٧٢] وتعتبر أقدم ألواح خزفية استخدمت في المغرب . ويرجح أن المسلمين لم يتعاملوا مع الخزف قبل العصر العباسي واقدم النماذج وجدت في سامراء وانتقلت في نفس العهد تقريبا للمغرب العربي.[١٢، ص ١٦٠] إن جامع القيروان باتساعه وضخامته وتميزه من حيث التصميم والإنشاء وعناصره المعمارية والزخرفية الموجودة في الأعمدة والعقود والقباب والمحراب والمقصورة والمنبر ، كل ذلك يدل على اهتمام المصممين في ذلك الوقت بأدق التفاصيل لإظهار الجامع بالشكل المطلوب والذي يلبي رغبات الأمير الأغلبي احمد أبي إبراهيم وابنه إبراهيم الثاني أبي أحمد وقبلها يلبي الأداء الوظيفي للمسجد لإقامة الصلوات فيه ، فليس من الوارد عقلاً ولا نقلاً إغفال الاهتمام بمصلى النساء في مثل هذا المسجد لو لمس الفقهاء في ذلك العصر الحاجة لمصلى النساء على انه مطلب شرعي أو حتى مطلب اقتضته التغيرات

الاجتماعية والثقافية والخلقية . إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث ، مما يدل على استمرار اقتداء السلف بسنة الرسول الكريم في شأن صلاة النساء في الجوامع.

الجامع الأزهر

كما هو معروف بأن الجامع الأزهر والذي أقيمت فيه أول جمعة في رمضان عام ٣٦١هـ[١١] يعتبر أول جامعه إسلامية تخرج الدعاة والعلماء في العهد الفاطمي بمصر .

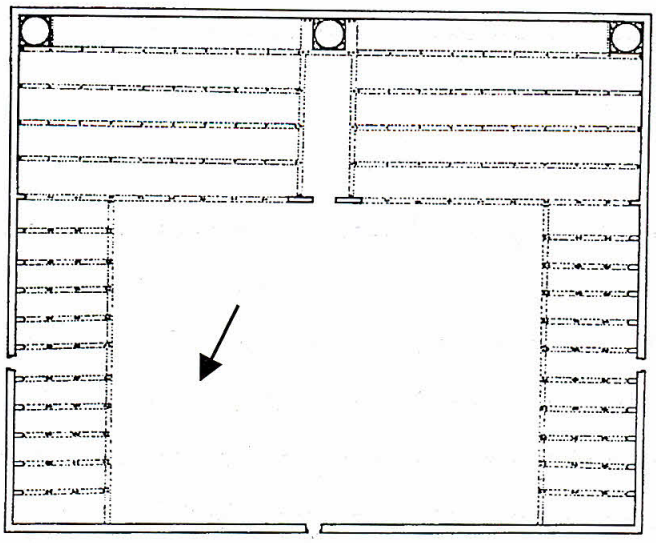
يتميز مخطط الجامع بالبساطة فهو يتألف من خمسة بلاطات موازية لجدار القبلة يتوسطها مجاز قاطع تنتهي عند المحراب بقبة . للجامع صحن محاط برواق على جانبيه الشرقي والغربي . الجامع بتصميمه الأساسي وبالتوسعات التي أضيفت إليه لاحقا (في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله عام ٥٢٦، ثم أنشأت في واجهته الأمامية مدرستان في العهد المملوكي عام ٨٧٣، كما أجريت توسعه الحرم في عهد الوالي العثماني عبد الرحمن كتخذا عام ١١٦٧هـ) [١١] لا يحتوي على مكان مخصص للنساء كمصلى لهن، وبذلك ينطبق على الجامع الأزهر ما ورد في ذكر المساجد أعلاه بشأن مصلى النساء (شكل ٦).

الجامع الكبير في أصفهان

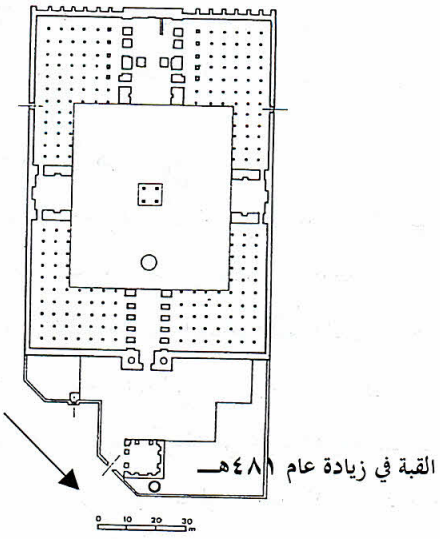
يتميز الجامع الكبير بأصفهان بمخططه التقليدي للعمارة السجلوقية، حيث يتوسطه صحن واسع تطل عليه أربعة أواوين ضخمه ، كما توجد قبة كبيرة من الآجر قطرها ١٥ متر محمولة على عضائد ضخمه، شيدت هذه القبة أمام المحراب كمقصورة للسلطان ملكشاه حوالي عام ٤٦٨هـ.[١٠] جدد السلاجقة أنحاء من المسجد وتوالت على المسجد إصلاحات وأعمال التوسيع والزيادات والزخارف فيما بعد. إن المهم في أمر هذا المسجد هي الزيادة التي تمت عام ٤٨١هـ، حيث أنشأت قبة وراء الجدار الشمالي على محور المحراب واعتمد في تزيينها على تشكيلات الآجر الشهيرة في عمارة السلاجقة ومن قبلهم السامانيون حيث تذكر الروايات أن القبة بنيت لتكون مصلى لزوج السلطان ملك شاه" تركان خاتون".

كما تذكر روايات أخرى أن القبة بنيت كسبيل أو كمكتبه للمسجد. [١٠] على الرغم من أن الروايات لم تؤكد أن القبة بنيت لتكون مصلى لزوج السلطان ملك شاه، إلا أنه وفي حالة ترجيح بناء القبة كمصلى لـ "تركان خاتون" يكون بهذا قد ظهر أول مصلى للنساء في المساجد عام ٤٨١هـ (شكل ٧).

سبب إنشاء القبة أو مقصورة مصلى النساء في هذا الجامع قد يغلب عليه الحس الأمني اكثر من الحس الشرعي ، لضمان سلامة زوجة السلطان وعدم تعرضها للمضايقات ، وهذا ما درج عليه أحفاد السلاجقه من السلاطين العثمانيين ، حيث كانوا يؤدون الفرائض في مقصورات خاصة تؤمن لهم الحماية ، كما تؤمن لهم تأدية الفريضة بتركيز اكبر ودون التعرض لإزعاج المتطفلين و أصحاب الحاجات.



شكل ٦: الجامع الأزهر في القاهرة. (١٩٧٥) م



شكل ٧: الجامع الكبير في أصفهان.
(١٩٧٥) Hoag

مجمع السليمانية باستانبول

ما يميز العمارة الإسلامية في عصر العثمانيين هو التركيز على المجمعات ، حيث أصبحت المجمعات عنصرا هاما للأنشطة الدينية والثقافية والاجتماعية ، ومجمع السلميانية الذي انشأ عام ١٥٥٠م [١٣،ص٢١٥] ما هو إلا مثالا من الأمثلة الكثيرة لهذه المجمعات التي بلغت ذروتها في تقديم الخدمات المختلفة للمجتمع من حولها ، فنجد المجمع يشمل بيمارستان (مستشفى) ومجموعة من المدارس وتكيه وحمام بالإضافة إلى الجامع الكبير بخدماته المختلفة (شكل ٨). [١٣، ص ٢١٧]

يختلف نمط بناء المساجد في تركيا عن بقية مساجد العالم الإسلامي، حيث يتم تغطية قاعة الصلاة بقبة كبيرة ترفدها أنصاف قباب ، ثم يتم تغطية بقية أجزاء قاعة الصلاة بقباب صغيره . تحمل القبة الكبيرة على أربعة عضائد تقسم قاعة الصلاة إلى منطقة مركزية (تحت القبة الكبيرة) يحيط بها رواق مجازى من الجهات الأربعة.

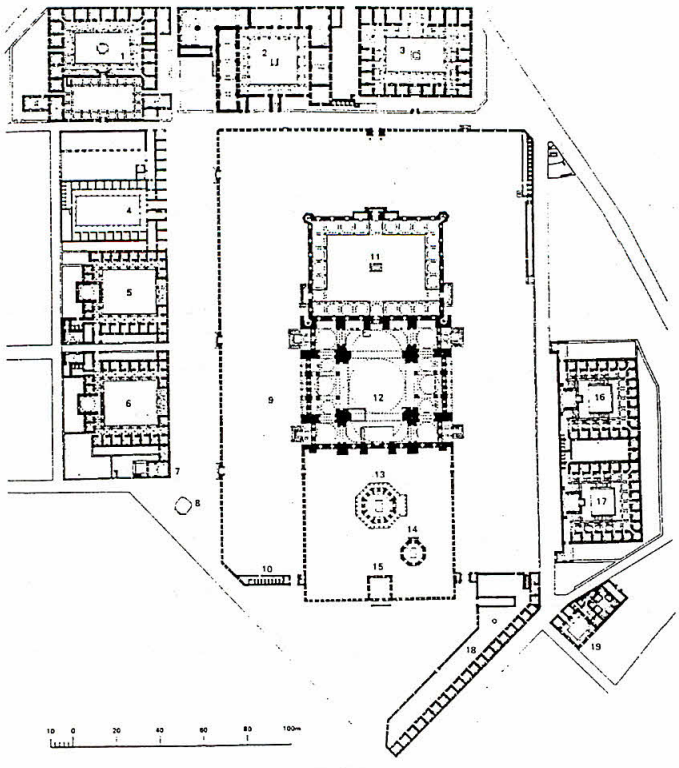
ارتفاع قاعة الصلاة بالإضافة إلى النمط الإنشائي الموجود يؤهل وجود رواق حقيقي بدل الرواق المجازى من أي جهة من الجهات الأربعة لقاعة الصلاة مع وجود شرفه خلفية أو جانبية تصح لان تكون مصلى للنساء كما هو الوضع الحالي في كثير من المساجد في الوقت المعاصر . على الرغم من ذلك نجد أن قاعة الصلاة تخلو من وجود الشرف بمختلف أنواعها مكونة بذلك قاعة كبيرة مفتوحة للصلاة تضم المصلين من الرجال والنساء.

المخالفات الشرعية في استحداث مصليات النساء

٥-١ الفصل التام بين مصلى الرجال ومصلى النساء:

أهم مخالفة شرعيه تحدث في مصليات النساء الحالية هو الفصل التام بين مصلى الرجال ومصلى النساء بجدار أو بساتر خشبي أو خلافه مما يمنع الرؤيا والمشاهدة التي هي من شروط صحة الجماعة ، حيث ذكر ابن قدامه في

معجم الفقه الحنبلي ما نصه "ولا عبره لاتصال الصفوف في صحة الاقتداء إذا كانت الصلاة في المسجد شريطة أن لا يكون بين الإمام والمقتدي ما يمنع الاستطراق والمشاهدة . أما إن كان المأموم في غير المسجد ، أو كان جميعا في غير مسجد ، صح الاقتداء ، سواء كان المقتدي مساويا للإمام وأعلى منه كثيرا كان العلو أو قليلا بشرط كون الصفوف متصلة ويشاهد من رواء الإمام." [١٤،م٢،ص٥٦٧]



شكل ٨: مجمع السليمانية بإستانبول.Goodwin (١٩٧١)

إن عدم تمكن المرأة من مشاهدة من وراء الإمام للإقتداء قد يفسد صلاة المرأة بعدم تمكنها من المتابعة إذا أخطأت وجلست مثلا والإمام قائم أو قامت والإمام جالس و لم يكن معها أحد في مصلى النساء. كما يتعذر للمرأة الاقتداء بالإمام إذا دخلت المسجد والإمام شرع في الصلاة ولا يوجد غيرها في مصلى النساء، وسمعت تكبيرة الإمام ، فلا تستطيع التمييز هل هذه تكبيرة الإحرام أم تكبيرة الركوع أو تكبيرة الرفع من الركوع أو تكبيرة السجود ، وبالتالي قد تفوتها فرصة وثواب الجماعة.

مخالفة سنة الرسول الكريم ﷺ

لقد تقدم في هذا البحث أن النساء كن يصلين الصلوات في مسجد رسول الله ﷺ جماعه فلم يأمر الرسول بتخصيص مكان محدد لصلاة النساء و لم يبن لهن جدارا أو حاجزا بل أن ابن قدامه في كتابه المغني ذكر حديثا عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لنساء كن يصلين في حجرتها "لا تصلين بصلاة الإمام فإنكن دونه في

حجاب." [١٥، م٢، ص٣٩] وهذا الحديث ينطبق للمصليات التي تمنع المشاهدة الكلية التي انتشرت في هذا الوقت تحفظاً من أن يقع نظر الرجال على النساء وإن كن محجبات وإن كن في آخر الصفوف والحجة في ذلك أن المجتمع الإسلامي بعاداته وأخلاقه يختلف تماماً عن مجتمع الصفوة في زمن الرسول الكريم، وهذا في مجمله حق ولا شك ، ولكن لنتأمل الحديث التالي الذي يورده القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن عن الترمذي والنسائي. حديثاً عن ابن الجوزاء عن ابن عباس قال "كانت امرأة تصلى خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ويستأ خر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر تحت إبطيه فأنزل الله تعالى " ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين"[١٦،م١٠ ، ص١٩] على الرغم من هذا التصرف نزل به قرآنا يتلى إلى يوم القيامة إلا أنه لم يأتِ الأمر من الرسول الكريم بعزل النساء في مصليات منفصلة ، فهل نحن أكثر حرصاً من الرسول الكريم على ستر النساء ؟

كما أن الحرص المبني على الاجتهاد الشخصي منهي عنه مع وجود النص، فقد أورد الإمام مسلم في صحيحه حديثاً عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال "قال رسول الله ﷺ لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل فقال ابنٌ لعبد الله بن عمر لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلاً قال فزبره ابن عمر وقال أقول قال رسول الله ﷺ وتقول لا ندعهن." [٢ ، م٤، ص١٦١]

ومعنى يتخذونه دغلاً أي يتخذونه للفساد والخداع والريبة. هذا الحديث يبين بشكل واضح وجلي خشية بلال بن عبد الله بن عمر أن يتخذ خروج النساء إلى المساجد بالليل للخداع والريبة ولكن نهاه وزجره أبوه ابن عمر لان النهى وان كان لأمر فيه حيطة عارض نصا صريحا من الرسول الكريم. فعلينا نحن الاتباع الاقتداء بسنه المصطفى عليه السلام وسنة أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

الخلاصة

إن الدين الإسلامي الحنيف دين شمول، يراعى الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية المختلفة مع تغيرات الزمان والمكان (صالح لكل زمان ومكان) ويغرس في النفوس المفاهيم التربوية الصحيحة في إطار مفاهيم العقيدة –الدين- كلها دون تجزيء، ويعالج – الأمراض قبل علاج الأعراض فبنى المجتمع المثالي الذي تخرج فيه النساء للصلاة في المساجد ليلاً ونهاراً دون خوف أو ريبه أو شك وطهر النفوس وزكاها وعلمها، فلم يمنع النساء من الصلاة في المسجد لوجود من ينظر إلى النساء من تحت إبطيه أثناء الركوع [١٦، م٢، ص١٩] وقد امتثل الجميع لتعاليمه ﷺ فهذا عمر بن الخطاب لا يمنع زوجته من الصلاة في المسجد على الرغم من غيرته رضي الله تعالى عنه. [١،م٢،ص٣٨٣]

إن ابن عمر زجر ولده عندما خالف تعاليم الرسول خشية فساد المجتمع من أمر خروج النساء إلى الصلاة في الليل. فإن ظهر أي خلل في المجتمع فعلينا معالجة هذا الخلل من جذوره وان لا ننشغل بمعالجة الأعراض ونترك أساس المرض يستفحل في المجتمع ليقضي عليه. إن المغالاة تؤصل المرض قبل العرض ويترتب عليها سلبيات على حساب جوانب إيجابية في المرأة ونشاطها وبالتالي نشاطات المجتمع وعطائه الحضاري.

جدير بنا عند بناء المساجد وبناءا على ما تقدم في هذا البحث أن نراعي التالي:

- عدم منع مساجد الله إماء الله.
- أن لا يكون هناك حائل يمنع سماع التكبير.
- عدم حجب النساء عن رؤية صفوف من وراء الإمام.
- أن لا يكون بين صفوف الرجال والنساء بعد لم تجر العادة به.
- استحسان اتخاذ أبواب خاصة بالنساء لحديث ابن عمر رضي الله عنه قال "قال رسول الله ﷺ لو تركنا هذا الباب للنساء" قال نافع فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات. [١٧،م١، ص٢٦٠]

المراجع

[١] العسقلاني ، أحمد بن على بن حجر. *فتح الباري بشرح صحيح الإمام ابن عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري*. دار المعرفة للطباعة والنشر.

[٢] مسلم، أبى الحسين بن الحجاج بن مسلم. *صحيح مسلم بشرح النووي*. بيروت: دار إحياء التراث العرب.

[٣] النسائي، أحمد بن شعيب بن على. *سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي*. حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٤١٤هـ.

[٤] ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني. *سنن الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

[٥] ابن حنبل، أحمد بن محمد. *المسند*. مصر: دار المعارف ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

[٦] الترمذي، أبى عيسى. *صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي*. بيروت: دار الكتاب العربي.

[٧] Creswell, K.A.C. *Early Muslim Architecture*. New York: Hacker ArtBooks, 1979.

[٨] الشنقيطي، غالي محمد الأمين. *الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ* . جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

[٩] ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي. *معجم البلدان*. بيروت: دار بيروت، دار صادر ، ١٣٩٧هـ.

[١٠] Hoag, John D. *Islamic Architecture*. New York: Harry N. Abrams, Inc., Publishers, 1975.

[١١] الريحاوي، عبد القادر. *العمارة في الحضارة الإسلامية*. جده: مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م .

[١٢] غالب ، عبد الرحيم. *موسوعة العمارة الإسلامية*. بيروت: جروس برس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

[١٣] Goodwin, Godfrey. *A history of Ottoman Architecture*. London:Thames and Hudson Ltd,1971.

[١٤] ابن قدامه، موفق الدين. *معجم الفقه الحنبلي*. الجزء الثاني، بيروت: دارا لكتاب العرب ، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م.

[١٥] ابن قدامه، موفق الدين. *المغن* . الجزء الثان ، بيروت: دارا لكتاب العربي، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م.

[١٦] لقرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٢هـ—١٩٥٢م.

[١٧] المنذري، زكي الدين أبو محمد. *مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري*. باكستان: المكتبة الأثرية ١٣٩٩هـ.

Woman's Prayer Areas in Mosques

Jahed M. Tarim
Department of Architecture, College of Environmental Design
King Abdulaziz Univesity
Jeddah, Saudi Arabia

Abstract: Prophet Mohammed (Peace be upon him) said that Muslim women should not be prohibited from going to mosques. From this point and from the teaching of Prophet Mohammed (peace be upon him) that women should not be prohibited from going to mosques to worship and supplicate to Allah. Mosques were and still are visited frequently by women for prayers and supplication in accordance with the teaching of Islam and in accordance with the rules imposed by Prophet Mohammed and followed by the Sahaba (Prophet Mohammed's followers) and their followers.

Never the less, when it is looked upon the history of Islamic architecture in general and the construction of mosques throughout the previous centuries in various Islamic countries (from the east to the west), no one could find any section of the mosque that was assigned for women to pray. This was the case although these mosques were greatly constructed and lavishly decorated.

In this paper, we are going to discuss women's prayer areas in mosques and to prove that this matter was newly done in the recent history.

This subject is going to be discussed as follows:

- The review of all the correct sayings of Prophet Mohammed (Peace be upon him) regarding this issue with their explanations to illustrate the Islamic teaching and the general principles of how to visit the mosques by women.
- The historical described preview of selected mosques in the Islamic world throughout various centuries and from different countries (from the east to the west) to make sure that the hypothesis of none existence of women's praying areas in the mosques is true.
- The attempt to point out the period in which the assignment of women's praying areas started and the caused of their appearance.
- The possible breaking of the Islamic laws that may appear from assigning places for women to pray in the giving factual examples.

The paper will end by giving recommendations according to the research findings.